منهج القرآن في الإقناع بالتوحيد وكيفية الاستفادة منه في معالجة قضايا الإقناع المعاصرة

The Qur'an's approach to persuasion of monotheism and how to utilise it in addressing contemporary persuasion issues

د. محمد الصالح ستي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة / الجزائر
مخبر الدراسات القرآنية والسنة النبوية
البريد الالكتروني: taleb.se@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/00/00 **تاريخ القبول للنشر**: 2023/00/00 **تاريخ النشر**: 2023/00/00

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص:

يعتمد موضوع الإقناع أساسا على عامل التأثير والتغيير في سلوك الأفراد والجماعات، ولما كان القرآن كتاب هداية وتغيير لكثير من عادات الجاهلية، فقد جاءت آياته متضمنة لمجموعة من أساليب الإقناع، وبخاصة ما تعلق منها بالدعوة إلى التوحيد، لشدة تمسك المشركين بآلهتهم وما وجدو عليه آباءهم، ومن جهة أخرى اهتمت الدراسات الغربية المعاصرة اهتماما بالغا بموضوع الإقناع كونه يمس كل مناحي حياة الإنسان النفسية والاجتماعية والثقافية وغيرها، تهدف هذه الدراسة إلى استنطاق بعض آيات التوحيد من أجل الوصول إلى أهم أساليب القرآن في الإقناع، ومحاولة الاستفادة من هذا المنهج القرآني في معالجة قضايا الإقناع المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: المنهج؛ الإقناع؛ القرآن؛ التأثير؛ السلوك.

Abstract:

The subject of persuasion is based primarily on the factor of influence and change in the behavior of individuals and groups. Since the Qur'an is a book of guidance and change for many of the customs of ignorance, its verses contain a set of persuasion techniques, especially those related to the call to monotheism, due to the polytheists' strong attachment to their gods and what their fathers had found. On the other hand, contemporary Western studies have paid great attention to the subject of persuasion, as it touches on all aspects of human psychological, social, cultural, and other aspects of life. This study aims to examine some of the verses of monotheism in order to identify the most important methods of persuasion in the Qur'an and to attempt to benefit from this Qur'anic approach in addressing contemporary issues of persuasion.

key words: Approach; Persuasion; Quran; Influence; Behavior.

مقدّمة:

الحمد لله حمد الشاكرين، وأصلي وأسلم على النبي الأمين، وعلى آله وصحابته أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

أرسل الله جميع رسله بالدعوة إلى توحيده ونفي الشريك عنه، فأخبر بذلك قائلا: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء 25]، والمتأمل في القرآن الكريم، المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين، يجد أن كل آية فيه تنطق بالتوحيد وتدعو إليه إما تصريحا أو تلميحا، ولما كانت أنفس مشركي قريش أنفسا عصية متمسكة بدين الآباء، جاحدة للحق منكرة له بعزة واستعلاء، عملت آيات القرآن على إقناعها بتوحيد الله، وكسر جبروتها وكبريائها، بأساليب وطرق متعددة، كما قام منهج القرآن في الإقناع على أسس متينة وقواعد رصينة، جعلت منه أداة تأثير قوية، كان لها وقع شديد على هذه الأنفس العصية، فتسللت دعوة التوحيد إلى سويداء فؤادها، فلانت لذكر الله، وتطهرت من رجس الشرك والوثنية، وتحولت أمة العرب وفي زمن يسير من أمة جاهلة غارقة في غياهب الحروب ومساوئ الأخلاق، إلى أمة مؤمنة قوية سادت الأرض وبلغ ذكرها الآفاق.

ومن جهة أخرى شغل موضوع الإقناع حيزا واسعا من اهتمام الدراسات الغربية المعاصرة، كونه يعني مجموعة من العلوم والفنون، ويمس كل مجالات الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية، فالإنسان مخلوق عاقل له آراؤه وقناعاته، وكائن اجتماعي يحتاج إلى إقناع غيره بأفكاره وتوجهاته، فاجتهدت هذه الدراسات في التنظير لهذا الموضوع، ومعرفة كيفية حدوثه، والنتائج المترتبة عليه، كما أحاطته بجملة من المهارات والتقنيات لزيادة نسبة تأثيره وتغييره في سلوك الأفراد والجماعات.

- إشكالية الدراسة:

مما سبق ذكره يمكن طرح الإشكالية الآتية: ما هي أهم معالم منهج القرآن في الإقناع بالتوحيد؟ وكيف يمكن الاستفادة من هذا المنهج في معالجة قضايا الإقناع المعاصرة؟

ويندرج تحت هذه الإشكالية الأساسية التساؤلات الفرعية الآتية:

1. ما هو تعريف الإقناع لغة واصطلاحا؟
2. ما هي أهم أساليب وأسس الإقناع في آيات التوحيد؟
3. ما هي خصائص المنهج القرآني في الإقناع؛ والتي تميزه عن الدراسات الغربية المعاصرة؟
4. كيف يمكن تفعيل هذا المنهج واقعيا للاستفادة منه في حلحلة بعض قضايا الإقناع المعاصرة؟

- أسباب اختيار الموضوع: كان من وراء البحث في هذا الموضوع عدة أسباب أهمها:

1. الاهتمام الشخصي بالمواضيع التي تُعنى بالبحث في منهج القرآن الكريم في معالجة قضايا الأمة المعاصرة.
2. تعدد الآيات القرآنية المتعلقة بتوحيد الله تعالى، وتنوع أساليب الدعوة والإقناع فيها.
3. الاستعمال السيئ لأساليب الإقناع في وسائل الإعلام الغربية المعاصرة لخدمة أغراض الدعاية الكاذبة والتلاعب بعقول المخاطبين، واستغلال الجانب الغريزي فيهم.

4. حاجة الأمة الإسلامية اليوم إلى الرجوع إلى القرآن الكريم والتمسك بتوجيهاته، من أجل وقاية نفسها من مخاطر الاستغلال الإعلامي الغربي، خاصة في ظل هذه الطفرة الالكترونية والرقمية الهائلة، والتي تجاوزت كل الحدود والتحصينات، وأثرت على مختلف فئات المجتمعات.

- **أهمية الدراسة:** تظهر أهمية الدراسة في:

1. تعلقها بالقرآن الكريم، المعجزة الخالدة والسراج المنير، الذي يضيء طريق هذه الأمة ويعالج كل شؤونها، وبه يصلح حالها في حاضرها ومستقبلها.
2. تعلقها بتوحيد الله تعالى، أصل الإيمان وعماده، وسبيل سعادة العبد في دنياه، وفلاحه في آخرته.
3. تعلقها بموضوع الإقناع، الذي له تعلق بمكونات الإنسان الداخلية وبيئته الخارجية، كما يمس كل مناحي حياته.

- **الهدف من الدراسة:** تهدف الدراسة إلى:

1. بيان أهم أساليب وطرق الإقناع في آيات التوحيد خاصة والقرآن الكريم عامة.
2. إظهار أسس وقواعد الإقناع في القرآن الكريم، وكيفية تأثيره العجيب على المخاطبين.
3. المقارنة بين منهج القرآن في الإقناع وتناول الدراسات الغربية المعاصرة لموضوع الإقناع.
4. تثوير معاني القرآن، والاستفادة من منهجه في معالجة قضايا الإقناع المعاصرة، وبيان صلاحية القرآن لكل زمان ومكان، ولجم أفواه الطاعنين فيه بالرجعية والجمود.

- **خطة الدراسة:**

للإجابة عن إشكالية الدراسة الأساسية والتساؤلات المتفرعة عنها تم وضع خطة تضمنت مقدمة وخاتمة ومدخل تعريفي وخمسة محاور، فأما المقدمة فتتضمن تمهيدا للموضوع، إشكالية الدراسة، أسباب اختيار الموضوع، أهمية الدراسة والهدف منها، إضافة إلى الخطة المتبعة في الدراسة، وأما المدخل التعريفي فيتضمن تعريف أهم مصلحات الموضوع: المنهج، الإقناع، التوحيد، وأما المحور الأول فخصصته لأساليب وطرق الإقناع في آيات التوحيد، وأما المحور الثاني فتعرضت فيه إلى أسس وقواعد الإقناع في آيات التوحيد، وأما المحور الثالث فعالجت فيه مسألة الإقناع في الدراسات الغربية المعاصرة؛ فنونه، نظرياته، ومهاراته، وأما المحور الرابع فضمنته الإقناع بين منهج القرآن والدراسات الغربية المعاصرة، وأما المحور الخامس فخصصته لبيان كيفية الاستفادة من منهج القرآن في معالجة قضايا الإقناع المعاصرة.

خاتمة: وتتضمن أهم نتائج الدراسة وبعض التوصيات.

مدخل تعريفي: التعريف بأهم مصطلحات الموضوع

قبل الخوض في محاور الدراسة وتفاصيلها حري بنا أن نقدم تعريفا موجزا لأهم المصطلحات المتعلقة بموضوع الدراسات، وهي على الترتيب: المنهج، الإقناع، التوحيد.

أولا- تعريف المنهج:

- **لغة:** المنهج والنهج والمنهاج لغة هو: " الطريق الواضح البيّن " (الجوهري، 1987 م، صفحة 346/1) (يعقوب، 2005، صفحة 208/1).

- **اصطلاحا:** لا يختلف تعريف المنهج في الاصطلاح عن تعريفه اللغوي، وممن أورد تعريفا للمنهج ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[المائدة 48]، قال: " ... أما المنهاج فهو الطريق الواضح السهل" (ابن.كثير، 1996، صفحة 117/3).

وعادة ما يستعمل لفظ المنهج في الاصطلاحي كمركب إضافي، وذلك للإشارة إلى مناهج علماء فنٍّ معينٍ في تناولهم له، كقولنا مثلا: مناهج المفسرين، مناهج المحدثين، مناهج اللغويين ...

وفي دراستنا هذه استعملنا لفظ المنهج مضافا إلى القرآن الكريم، والمقصود بذلك: طريق القرآن الكريم أو سبيله في تناول أو معالجة موضوع ما.

ثانيا- تعريف الإقناع:

- **الإقناع في اللغة:** يرى ابن فارس أن مادة (قنع) في اللغة لها أصلان صحيحان وثالث شاذ:

الأول: الإقبال على الشيء، ومنه الإقناع وهو الإقبال بالوجه على الشيء، ويقال: قَنِعَ قَنَاعةً، إذا رَضِيَ، وسمِّيتْ قناعةً لأنَّهُ يُقْبِلُ على الشَّيء الذي لهُ راضياً.

الثاني: يدل على استدارة في شيء، ومنه القِنْع - بكسر القاف وسكون النون - وهو مستديرٌ من الرَّمل، والقِنْع والقِنَاع: شِبْهُ طَبَقٍ تُهدَى عليه الهديَّة، وقِناعُ المرأةِ معروفٌ، لأنَّها تُدِيرهُ برأسها.

الثالث الشاذ: الإقناع بمعنى ارتفاع الشيء، ليس فيه تصَوُّب. (ابن.فارس، 1979، الصفحات 5/26-27)

- **الإقناع في الاصطلاح:** قدم العلماء من العرب والغرب تعريفات متعددة للإقناع (العوشن، 1996، صفحة 18) (بدوي، 1994، صفحة 53/2) (راكان، 2009، صفحة 24) (ميلز، 2001، صفحة 2)، تراوحت بين الطول والإيجاز، وبين الشمول والاقتصار على بعض جزئياته، وبتمحيص النظر في هذه التعاريف يمكن القول أن الإقناع هو: عملية باطنية وشكلية تسعى لإحداث تأثير معين في فرد أو جماعة.

وهذا التعريف يتضمن ثلاثة قيود:

القيد الأول " عملية باطنية وشكلية": يعني أنه الإقناع هو عملية ذات شقين: شق باطني يتمثل في الجهد الفكري والنفسي المبذول للتأثير على الآخرين واستمالة عقولهم وقلوبهم، وشق شكلي يتمثل في الوسيلة التي تستعمل في الاقناع، وقد تكون بالكلام والحديث أو ما في حكمه من الكتابة أو الإشارة، وقد تكون بالممارسة العملية والتصرفات والمواقف أو غير ذلك.

القيد الثاني " تسعى لإحداث تأثير معين ": وهذا القيد يحدد الغاية من الإقناع، وهي إحداث تأثير كلي أو جزئي، في الأفكار والمعتقدات، أو السلوك والتصرفات، وهذا التأثير قد يكون إيجابيا، كما قد يكون سلبيا، والحكم في ذلك مسألة نسبية فقد يحكم طرف بأنه سلبي، ويحكم طرف آخر بأنه إيجابي.

القيد الثالث " في فرد أو جماعة ": ويعني أن ممارسة الإقناع والتأثير قد يكون موجهاً إلى فرد بعينه، كإقناع الوالد لابنه، والزوج لزوجه، والمعلم لتلميذه ...، وقد يكون موجها إلى جماعة كإقناع المستهلكين لسلعة ما، أو إقناع المقبلين على امتحان معين، أو جماعة الرجال، أو عموم المسلمين ...

ثالثا- تعريف التوحيد:

- **التوحيد في اللغة:** اسم مشتق من فعل (وحد)، ذكر ابن فارس: " الواو والحاء والدال: أصل واحد يدل على الانفراد، ومن ذلك الْوَحْدَةِ، وهو واحد قبيلته، إذا لم يكن فيهم مثله " (ابن.فارس، 1979، صفحة 90/6).

- **التوحيد في الاصطلاح:** "هو اعتقاد تفرد الله بالخلق والتدبير، وإخلاص العبادة له، وترك عبادة ما سواه، وإثبات ما له من الأسماء الحسنى، والصفات العليا، وتنزيهه عن النقص والعيب " (الفوزان، 2013، صفحة 20).

وهذا التعريف متضمن لأنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، توحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

المحور الأول: أساليب وطرق الإقناع في آيات التوحيد

توحيد الله سبحانه وتعالى وإفراده بالعبادة هو أصل وجود هذا الكون وغاية الخليقة قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذاريات 56]، وهو رسالة جميع الأنبياء والرسل قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[الأنبياء 25]، كما أن ضياعه هو سبب الخسران وحبوط الأعمال قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[الزمر 65].

وإقناع المشركين والمكذبين بتوحيد الله تعالى، وتغيير آلهتهم التي يعبدون من دون الله من أعسر المهمات، لذلك كلف الله بهذه المهمة خير خلقه وهم الأنبياء، وأيدهم بكتب ومعجزات من السماء، ومع ذلك فقد لاقوا من التكذيب والأذى ما تعجز عن حمله الجبال الراسيات، ذلك أن تنازل الإنسان عن ربه ومعبوده، وما وجد عليه آباءه وسابقيه ليس بالأمر الهين، ولدا فكثير ما تحجج المشركون بهذه الحجة لمقابلة دعوة الأنبياء وتبرير كفرهم وتمسكهم بآلهتهم، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴾[الزخرف 23].

وعليه فبالرجوع إلى تحليل آيات التوحيد المختلفة نجد أن القرآن الكريم انتهج طرق وأساليب متعددة في إقناع المكذبين والجاحدين بوجود الله تعالى وتفرده بالعبادة، وأهم هذه الأساليب:

المطلب الأول: ملامسة الفطـرة

من أهم أساليب القرآن الكريم في الإقناع بالتوحيد وهو ملامسة فطرة الإنسان التي جبل عليها، فالله تعالى فطر خلقه على توحيده، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم 30]، اتفق المفسرون على أن هذه الآية تحمل دلالة صريحة على أن الله عز وجل فطر عباده على توحيده والإيمان به، وهذه الفطرة هي ما أوجده في عقولهم وقلوبهم من استحسان التوحيد، واستقباح غيره من الشرك والجحود،

ومحبة الحق وإيثاره، وكراهية الباطل والنفور منه، وهذه الفطرة من خلق الله تعالى وليس لأحد تغييرها أو تبديلها، ومن خرج عن هذا الأصل فلعارض عرض لفطرته فأفسدها. ينظر: (البغوي، 1997، صفحة 296/6) (ابن.عطية، 2000، صفحة 336/4) (ابن.جزي، 1996، صفحة 133/2) (ابن.كثير، 1996، صفحة 313/6) (السعدي، 2000، صفحة 640).

وأكدت السنة النبوية على هذا المعنى في الحديث المشهور عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: « ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » (البخاري، 1987، صفحة 94/2) (مسلم، صفحة 2047/4).

فكل مولود إلا ويولد على فطرة معرفة الله وتوحيده، وإنما التغيير يأتي من جهة الآباء أو غيرهما، وإنما اقتصر في هذا الحديث على ذكر الآباء لأن الولد أول ما يتأثر بوالديه وهما أقرب الناس إليه، والأكثر على إحداث التغيير فيه.

وملامسة الفطرة والتذكير بطبيعة الإنسان وخلقته من أهم وسائل الإقناع وأكثرها تأثيرا، فعادة ما يغفل الإنسان عن طبيعته وأصله لأسباب داخلية أو خارجية، فيقول أقوالا ويفعل أفعالا لا تتماشى وفطرته أو طبيعته، فإذا ما ذُكِّر بهذه الفطرة تتحرك فيه تلك الغريزة الداخلية والضمير الباطن، فيكون ذلك سببا في تغيير معتقده أو سلوكه، ورجوعه إلى فطرته وطبيعته.

المطلب الثاني: مخاطبة العقـــل

كرم الله تعالى الإنسان عن سائر المخلوقات بالعقل، الذي يميز به بين الحق والباطل، ويفرق به بين الخبيث والطيب، وبه يبني أفكاره وقناعاته، ويحدد اختياراته وغاياته في هاته الحياة، فالعقل البشري هو مناط التشريف والتكليف، وعليه فقد اعتنى القرآن الكريم بالعقل عناية فائقة، فورد ذكره في القرآن صراحة قرابة الخمسين مرة (عبد.الباقي، 1945، صفحة 468)، ناهيك عن الآيات التي ورد فيها التعبير عن العقل بأولي الألباب وأولي النهى، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على قيمة العقل ومكانته في هذا الدين، وبالرجوع إلى موضوع التوحيد نجد أن هناك العديد من الآيات القرآنية جاءت داعية إلى التوحيد مقنعة به من خلال مخاطبة العقل، وبأساليب وطرق مختلفة، منها:

الفرع الأول: إقامة الدليل على استحالة الشريك: وهذا ما يصطلح عليه عند علماء الكلام بدليل التمانع (ابن.كثير، 1996، صفحة 491/5)، ويقصد به أن العقل السليم يصل إلى استحاله وجود شريك ينازع الله عز وجل في هذا الكون، أي يُمتنَع عقلا أن يوجد إلهين لهذا الكون، إذ لو فُرض وجود إلهين فأكثر لمخلوق ما فأراد أحدهما تحريكه وأراد الآخر سكونه، فإنه يمتنع اجتماع مراديهما للتضاد، وإن لم يحصل مراد كل واحد منهما كانا عاجزين كلاهما، وإن حصل مراد أحدهما دون الآخر كان أحدهما غالب والآخر مغلوب، وكل هذا يستحيل في حق الإله، وقد ورد التنصيص على هذا المعنى في عدة آيات قرآنية منها قوله تعالى: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون 91].

فنفى الله تعالى أن يشاركه في ملكه إله، لأن العقل يستحيل ذلك ويمنعه، إذ لو كان ذلك ممكنا لتفرد كل إله بخلقه، ولعلا بعضهم على بعض، أي ولغالب وقهر القوي الضعيف، كالعادة بين الملوك والحكام، وكان الضعيف

المغلوب لا يستحق الملك والإلهية، وصدّر الله تعالى هذه الآية بنفي الولد، لأن الولد ينازع الأب في الملك منازعة الشريك، وختم الله الآية بتنزيه نفسه عن هذا الوصف، وتعاليه عن الشرك، جلت أسماؤه وتقدست صفاته.

الفرع الثاني: الاستدلال على وجود الله بمخلوقاته:

من أهم الأدلة العقلية التي استعملها القرآن للإقناع بوجود الله وانفراده بالملك والتدبير، الاستدلال بخلقه لهذا الكون الفسيح البديع، بما فيه من سماء وأرض، بر وبحر، ليل ونهار، شجر وحجر، بشر وحيوان ... فلا ريب أن من وراء هذه الدقة في الصنع والتدبير خالق متفرد عظيم، أحسن كل شيء خلقه في دقة متناهية، لا خلل فيه ولا تقصير، ومن الآيات الجامعة التي دعت إلى التدبر في خلق الله تعالى للوصول إلى الحق وطريق الهدى، قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت 53]، فهذه الآية الكريمة جمعت لنا بين التدبر في الآيات الكونية، ثم الدعوة إلى التدبر في خلق الإنسان، فالإنسان إذا لم يعتبر بما يجري حوله، فليعتبر بنفسه من خلال التدبر فيها، فيكتشف الحكمة التي وُجِد من أجلها.

والآيات القرآنية التي تضمنت خلق الله تعالى لآياته الكونية وكذا خلق الإنسان كثيرة جدا، ولا تتسع دراسة كهذه للإحاطة بها، ولكن حسبنا أن نذكر مثالا واحدا على كل نوع، ويقاس عليه نظيره، ففي بيان خلق الله لهذا الكون قال تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[الأعراف 54]، وأما عن أطوار خلق الإنسان فقال:﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾[المؤمنون 12-14].

الفرع الثالث: إثبات وجود الله عن طريق الجدال:

الجدال في الاصطلاح هو " دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة، ويقصد به تصحيح كلامه " (الجرجاني، 1983، صفحة 74/1)، وهو من أهم الأساليب القرآنية في الإقناع، إذ أن أسلوب الحوار ودفع الحجة بالحجة وردّ الشبهة بالدليل العقلي، وبيان فساد رأي المخالف، أدعى إلى تغيير رأيه والرجوع عن معتقده، والتأثير على أتباعه ومريديه، وعليه فقد كان الجدال مع أصحاب العقول المنحرفة والنفوس المكذبة مسلكا من مسالك إثبات وحدانية الله تعالى، وبيان بطلان ما يُعبد من دونه من آلهة.

ومنهج القرآن في الإقناع قائم على الحجة والبرهان قال تعالى: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة 111]، وفيه من الأدلة والبراهين ما يناسب جميع العقول بمختلف مستوياتها وثقافتها، بعيدا عن التعقيدات الفلسفية والمناهج الكلامية، التي قد تَصْعب على كثير من العامة، فأسلوب القرآن في الجدال أسلوب واضح العبارات بسيط المعاني، لا يخص طائفة دون أخرى، يقتنع به جميع الناس في بيان الحق وإظهار فساد الباطل، وقد كان هذا الأسلوب القرآني سمة ظاهرة في مجادلة الأنبياء عليهم السلام لأقوامهم، ومن أمثلة ذلك ما ورد في قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه لما أراد أن يثبت لهم بطلان ما يعبدون من أفلاك وأجرام، وأن الأحقية بالعبودية لله ووحده، فاستعمل إبراهيم عليه السلام أسلوب الجدال من خلال مخاطبة عقول قومه، وتدرجه في

تسفيه آلهتهم التي يعبدون من دون الله، وإثبات عجزها ونقصها، فلا الكواكب ولا القمر ولا الشمس، تدوم وتبقى، بل كل منها يظهر ويأفل، ويحضر ويغيب، ثم ختم جداله ببيان المعبود بحق، الذي يتصف بالدوام والكمال والقدرة، وهو الذي فطر السماوات والأرض، وهو المستحق أن يولي العبد وجهه إليه، ويخلص له العبادة، ينظر: [سورة الأنعام 74-79].

المطلب الثالث: إثارة العاطفة

الأسلوب الثالث من أساليب الإقناع في القرآن الكريم هو إثارة العاطفة، أي مخاطبة القلب والتأثير على النفس، وهذا الأسلوب عامل مهم في الإقناع، فالذكرى والموعظة لا تؤتي أُكُلاً ولا تثمر نفعاً إلا إذا خالطت القلب، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق 37]، والقلب إذا تحرك اهتزت له النفس وأذعنت له وتبعته كل الجوارح قال ﷺ: « ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب » (مسلم، صفحة 1219/3).

ولدا لم يغفل القرآن عن هذا الأسلوب في الإقناع بالتوحيد وذلك باستعمال أسلوب الترغيب والترهيب، فأمر الله تعالى عباده بعبادته وتوحيده، ورغبهم في ذلك بما أعده لعباده المؤمنين من جزاء في الدنيا ونعيم في الآخرة، وقص عليهم نجاة من وحد الله وآمن برسله ممن سبق من الأمم، ونهى تعالى عباده عن الشرك، ورهبهم منه بما أعده الله للكافرين والجاحدين من هلاك في الدنيا وويل في الآخرة، وقص عليهم هلاك من كفر وكذّب رسله من الأمم السابقة، وآيات القرآن الكريم كثيرة في هذا المجال، وسوف نذكر شيئا منها:

- أسلوب الترغيب:

رغب عباده في التوحيد بما أعده لهم من فضل وخير في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يعيش المؤمن الموحد سعيدا مطمئنا رخاء، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام 82]، والنصر والتمكين في الأرض، قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [النور 55].

وفي الآخرة وعد الله عباده المؤمنين الموحدين بجنة النعيم، التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بال، قال تعالى:﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (70) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف 70-71].

- أسلوب الترهيب:

حذر الله تعالى في محكم تنزيله عباده من الشرك تحذيرا شديدا فقال:﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[الزمر 65]، ورتب عليه عقابا شديدا في الدنيا، من ذلك قوله تعالى:﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [الحج 31]، وهذا مثال بليغ ضربه الله تعالى لبيان حال المشرك في الدنيا، فشبّه الإيمان والتوحيد في علوّه وشرفه بالسماء التي هي مصعده ومهبطه، وشبّه تاركَ الإيمان والتوحيد بالساقط من السماء إلى أسفل سافلين من حيث التضييق الشديد والآلام المتراكمة، والطير الذي تخطف أعضاءه وتمزقه كلّ ممزق بالشياطين التي يرسلها الله سبحانه

وتعالى عليه وتؤزّه أزا، والريح التي تهوي به في مكان سحيق هو هواه الذي يحمله على إلقاء نفسه في أسفل مكان وأبعده من السماء (الجوزية، 1990، صفحة 384).

وفي الآخرة حرم الله على المشرك الجنة وتوعده بجهنم وسوء المصير، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة 72].

المحور الثاني: أسس وقواعد الإقناع في آيات التوحيد

من خلال تتبع آيات التوحيد وغيرها من الآيات القرآنية نجد أن الإقناع فيها يقوم على مجموعة من الأسس والقواعد، جعلت منه أداة تأثير على عقول وقلوب المخاطبين، وغيرت معتقدات وأخلاق أمة من أكثر الأمم صلابة وتمسكا بقيمها ومبادئها، وافتخارا بأصولها وتراثها، وهذا لما في القرآن من عظمة وقوة، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر 21]، ومن أهم هذه الأسس:

المطلب الأول: التدرج في الإقناع وعدم الإكراه

التدرج سنة كونية ثابتة، فلا أمر يأتي دفعة واحدة، بل يتكون وفق مراحل وخطوات، وبعد تهيئة ومقدمات، وكذا الإقناع بالتوحيد، فدعوة النبي ﷺ إلى توحيد الله وإقامة شريعته، لم تتم بن عشية وضحاها، بل أخذت زمن طويلا ومرت بعدة مراحل، فأول ما بدأت الدعوة إلى الإيمان بالله كانت سرا، واقتصرت على بعض الأفراد والمقربين، وتركزت الدعوة إذ ذاك على تثبيت العقيدة وتقوية الإيمان في قلوب الصحابة، وتربيتهم على الصبر وتحمل الأذى، بل كان الأمر في البداية على عدم التعرض للمشركين أو سب آلهتهم، قال تعالى : ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام 108]، ثم شُرع الجهر بالدعوة باللسان، والدعوة إلى عبادة الله وحده من خلال تدبر آياته في الكون وفي مخلوقاته، وبيان قدرته وجبروته، وإظهار ضعف آلهة المشركين وعجزها، وأنها لا تنفع ولا تضر، قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ﴾[الزمر 38].

وبعد ذلك شُرع الجهاد والقتال، لنشر دعوة التوحيد وإعلاء كلمة لا إله إلا الله، ولم يأمر النبي ﷺ بتحطيم الأصنام، وتطهير بيت الله من الرجس والأوثان، إلا بعد فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة، وكل هذا تطبيقا وتماشيا مع سنة التدرج في الدعوة والإقناع.

كما أن الإسلام دين إقناع وبيان، وليس دين إكراه وإرغام، قال تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [البقرة 256]، فبغض النظر عن الخلاف الذي وقع بين المفسرين في هذه الآية بين العموم والخصوص، وبين الإحكام والنسخ، إلا أنهم يجمعون على أنها تدل على أن دين الإسلام لا يحتاج أن يُكرَه أحد على الدخول فيه، فهو بين المعالم واضح الدلائل (ابن.عطية، 2000، صفحة 343/1) (ابن.كثير، 1996، صفحة 682/1)

(ابن.جزي، 1996، صفحة 132/1)، من دخل فيه دخل مقتنعا مختارا مؤمنا، أما من أتاه مجبرا مكرها فلا ينفعه ذلك بشيء، وهذا يدل على عظمة هذا الدين وسمو شأنه.

المطلب الثاني: الإقناع بالكلمة الطيبة والجدال الحسن

من أصول الدعوة إلى الله في دين الإسلام أن تتم بالكلمة الطيبة التي تنم عن سلامة في القلب، وسمو في الخلق، والكلمة الطيبة أصل ثابت وشجرة مثمرة تؤتي أُكْلها كل حين، قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) [ابراهيم 24-25]، وكذا الجدال الحسن الذي يقوم على الحجة والبرهان، ويبتعد عن المراء والمغالبة والإفحام، إذ الغاية من الدعرة إلى التوحيد هي الأخذ بأيدي الناس إلى بر النجاة والفلاح، وإنقاذهم من غيابات الهلاك والخسران، والإقناع بالكلمة الطيبة والجدال الحسن من تمام الحكمة، التي تعني " فعل ما ينبغي، في الوقت الذي ينبغي، على الوجه الذي ينبغي " (الجوزية، مدارج السالكين، 1996، صفحة 479/2)، قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل 125]، وبهذا الأصل العظيم والأساس المتين، دخل الناس في دين الله أفواجا، وانتشر دين الإسلام، وارتفعت راية التوحيد في كل ربوع المعمورة.

المطلب الثالث: التنوع والتوازن

يتسم الإقناع في القرآن الكريم بالتنوع في أساليبه وطرقه، فيعتمد على أسلوب اللين والرفق أحيانا، وعلى أسلوب القوة والشدة أحيانا أخرى، ويلجأ إلى أسلوب المواجهة والرد أحيانا، وإلى أسلوب التعميم والتورية أحيانا أخرى، والقرآن الكريم يخاطب كل فئة وطائفة بما يفهمون وبالطريقة التي يقتنعون، وعليه فإن أساليب الإقناع تتغير بحسب الظروف ومقتضيات الحال، وهذا من رحمة الله تعالى بخلقه، وكمال هذا الدين وشموليته، وقد ذكرنا سابقا عدة أساليب وطرق في الإقناع بالتوحيد.

كما أن منهج القرآن في الإقناع يتسم بالتوازن والوسطية، فالإقناع بالتوحيد يلامس ظاهر الإنسان كما يلامس باطنه، ويهتم بحياته الروحية ولا يهمل حياته المادية، ويسعى إلى تحقيق راحة الإنسان في الدنيا وفلاحه وفوزه في الآخرة، وهذا ما يميز دين الإسلام عن غيره من الديانات.

المحور الثالث: الإقناع في الدراسات الغربية المعاصرة؛ فنونه، نظرياته، ومهاراته.

المطلب الأول: فنون الإقناع

اهتمت الدراسات الغربية المعاصرة اهتماما كبيرا بموضوع الإقناع، كونه يمس كل مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فالإنسان كائن اجتماعي وهو يحتاج إلى إقناع غيره بأفكاره وآرائه في مختلف شؤون الحياة، إلا أن كثيرا من الدراسات الحديثة تذهب إلى أن الإقناع يتعلق بدرجة كبرى بثلاثة فنون أساسية وهي: الإعلام والدعاية والتربية (البادي، 1986)، وإن كانت هذه الفنون الثلاثة تجتمع في بعض الموصفات والخصائص، من حيث أنها تهدف إلى تغيير السلوك والقناعات، وتستهدف الأفراد والجماعات، إلا أن ثمة فروقا بينها من حيث بعض التفاصيل والجزئيات.

فالإعلام في الأصل هو فن يهدف إلى نقل الحقائق والمعلومات إلى الأفراد والجماعات عن طريق الحوار العقلي والموضوعية في الطرح، بواسطة هيئات ووسائل رسمية وموثوقة، ويتعامل مع المتلقي على قدر من الوعي والعقلانية، وغايته الأساسية إيصال الحقيقة والمعلومة كما هي دون تحريف أو تزييف.

أما الدعاية فتتعامل مع الجانب الغريزي والعطافي في الإنسان أكثر من تعاملها مع العقل، ولا تتوقف عند حدود الحقيقة والواقع، بل تستعمل كل الوسائل الممكنة من أجل إقناع الغير والتأثير على سلوكه وإن كان عن طريق الكذب والتلفيق، ففيها أن الغاية تبرر الوسيلة، وهذا ما يستعمل عادة في الإعلانات الترويجية لمنتج ما، أو الحملات الانتخابية لحزب أو شخصية ما ...

أما التربية كفن من فنون الإقناع فإنها تشترك مع الإعلام في مخاطبة العقل والاعتماد على الموضوعية والحقيقة في الطرح، إلا أنها تختلف عنه كونها تستهدف فئة الأبناء بشكل أخص، كما أنها تتعامل مع الجانب التعليمي والثقافي والاجتماعي للإنسان، فهي تهدف إلى تعليم الناشئة أصول التربية الصحيحة، وتثقيفهم بالمبادئ والقيم الاجتماعية السليمة.

المطلب الثاني: نظريات الإقناع

اهتم علماء النفس وعلماء الاجتماع وعلماء الإعلام والاتصال كثيرا بموضوع الإقناع، ووضعوا له عدة نظريات، وبالرجوع إلى أشهر الكتابات في هذا المجال، فإننا نجد أن هناك ثلاث نظريات أساسية للإقناع وهي:

الفرع الأول: النظرية النفسية الذاتية

تقوم هذه النظرية على دراسة المخلوق البشري ومكوناته المختلفة، للوصول إلى كيفية حدوث الإقناع، فالإنسان مخلوق بشري معقد التركيب من مكونات ثلاث: بيولوجية وعاطفية وإدراكية، وعملية التأثير تتم على المكونات العاطفية والإدراكية، إذ لا يمكن التأثير على المكونات البيولوجية كالجنس واللون ... (بابكر، 2003، صفحة 37)، والظاهر أن العواطف تمثل أساسا واضحا لهذه النظرية، إلا أن استخدامها يتم وفق عدد محدود من المواقف خاصة تلك المتعلقة بالجوانب الإنسانية، والتي تتأثر كثيرا بالعوامل الإدراكية، ومن ثَمَّ إذا أمكن تغيير العوامل الإدراكية فسوف يتسنى عندئذ تغيير السلوك بكل تأكيد (بول، 1998، صفحة 384).

ويندرج تحت هذه النظرية مجموعة من النظريات الفرعية أهمها:

- **النظرية الكلاسيكية الشرطية:** وتستند هذه النظرية إلى نظرية المنعكس الشرطي للعالم الروسي المشهور بافلوف، ومعناها أنه توجد مجموعة من البواعث والمحركات والدوافع وراء تصرف أو سلوك أي شخص، وهذه البواعث قد تكون غير مشروطة وهي التي تدفع إلى التصرفات الغريزية عند الإنسان، وقد تكون بواعث مشروطة لا تدفع لوحدها إلى التصرف والسلوك بل هي بحاجة إلى أن تقترن بباعث غير مشروط حتى تكتسب منه القوة في دفع الناس إلى اتخاذ موقف معين (راكان، 2009، صفحة 146) (إ.لامبرت، 1993، صفحة 140).

- **نظرية الدو افع أو الميول:** ترتكز هذه النظرية على الدافع الذاتي للفرد في تبني أو تغيير موقف ما، فكثير من الناس يغيرون مواقفهم تجاه قضية معينة انطلاقا من ميولهم ودوافعهم الذاتية والنفسية، بغض النظر عن صحة أو واقعية تلك القضية (السيد، 1998، صفحة 138) (راكان، 2009، صفحة 147).

نظرية الإقناع الذاتي: وتعني أن تتم عملية الإقناع وتغيير الموقف نحو التطرف سلبا كان أم إيجابا وذلك نتيجة لبعض التفكير، ومناقشة الموضوع في العقل لا بسبب عوامل خارجية، وتكون من خلال لعب بعض الأدوار للاقتناع بالأمر، أو التطرف والتعصب للأفكار والموافق، أو التعرض لمواقف الآخرين، أو الاستجابة الذهنية لرسالة ما (رزق، 1994، صفحة 177) (ميلز، 2001، صفحة 210).

الفرع الثاني: النظرية الاجتماعية الثقافية

ويطرح هذه النظرية علماء الاجتماع، الذين يفترضون أن جزءا كبيرا من السلوك الإنساني تشكله قوى خارج الفرد، على خلاف نظرة علماء النفس السابقة، والتي تفترض أن السلوك الإنساني يمكن السيطرة عليه من قوى داخل الفرد.

وانطلاقا من هذه النظرية فإن العوامل الاجتماعية والثقافية تشكل خطوطا توجيهية للسلوك البشري، وعليه فإن مثل هذه العوامل الخارجية يمكن أن تعتبر أساسا للإقناع، وتؤثر على تغيير المواقف والسلوك، مع افتراض أن الفرد يمكنه تحديدها أو التحكم فيها (السيد، 1998، صفحة 204)، بحسب قدرته الثقافة ومكانته الاجتماعية.

وتستغل الدول الغربية هذه النظرية في نشر ثقافتها وتقاليدها في البلدان الضعيفة الأخرى من خلال إقامة لغة مشتركة بين البلدان تسهل للطرف الأقوى فرض سيطرته وهيمنته على الطرف الأضعف، وللأسف الشديد فإن العالم الإسلامي اليوم يندرج ضمن الطرف الأضعف ولدا يتم السيطرة والهيمنة عليه عبر نشر قيم وتقاليد الحضارة الغربية من خلال الأفلام والبرامج التلفزيونية والمباريات ... إضافة إلى تصدير فلسفات النظام الرأسمالي عبر الشركات الاقتصادية الكبرى (آشتي، 1996، صفحة 109).

الفرع الثالث: نظرية إنشاء المعاني

وتعني هذه النظرية أن وسائل الإعلام الجماهيرية تقوم بإنشاء ودعم الصور الذهنية من خلال مصادر غير محددة للمعلومات؛ كالاتصال الحسي المباشر أو اللغة أو العادات والاتفاقات ...، فتعمل على صياغة أو تعديل المعاني التي خبرها الناس عن كل شيء، ووفقا لهذه النظرية فإن وسائل الإعلام تكوّن الصور الذهنية لرؤوسنا وتبني معتقداتنا عن العالم الحقيقي، وتغيّر في سلوكنا، كما أنها تنشئ وتغيّر وتثبّت المعاني ككلمات في

لغتنا، وتؤثر هذه التعديلات للمعاني في استجابتنا واقتناعنا بالموضوعات المختلفة (بابكر، 2003، الصفحات 43-45).

وملخص القول أنّ هناك ثلاث نظريات أساسية للإقناع: النظرية النفسية؛ والتي ترى بأن الإقناع يكون من خلال التأثير على المكونات العاطفية والإدراكية داخل الفرد، والنظرية الاجتماعية؛ الثقافية والتي ترى أن العوامل الاجتماعية والثقافية هي التي تقوم بتوجيه السلوك البشري، وتؤثر في مواقفه وقناعاته، أما نظرية إنشاء المعاني فتهدف إلى خلق معان جديدة، أو تغيير معان راسخة داخل مجتمع ما.

المطلب الثالث: مهارات الإقناع

يذكر العلماء عدة مهارات تساعد في فعالية ونجاعة عملية الإقناع أهمها:

الفرع الأول: مهارة الحديث أو الاتصال اللفظي

وتُعرّف هذه المهارة أنها نقل الأفكار والمشاعر والمعلومات عن طريق نقل الكلمات (حجاب، 1999، صفحة 83)، ويعتبر الحديث أساس وأهم وأقدم وسائل عملية التواصل والإقناع، وحديث الشخص يكوّن الانطباع الأول عليه لدى المتلقين، ويرسم صورة على قيمته ومقامه في أذهان المستمعين، وعليه لا بد على أن يختار الألفاظ المناسبة والعبارات الملائمة، ليكون حديثه مؤثرا ومقنعا لدى الغير.

الفرع الثاني: مهارة كسب محبة الجمهور والاعتناء به

وتعتمد هذه المهارة على ضرورة لفت انتباه المتلقين وكسب محبتهم، وهذا ما يجعل المستمع كالورقة البيضاء يكتب فيها المتحدث بريشته ما يشاء (مرزا، 2019، صفحة 108)، وعلى العكس من ذلك إن لم يستطع المتكلم لفت انتباه المستمعين فسوف يذهب حديثه وجهده هباء منثورا، ومن الوسائل التي تساعد على كسب محبة المتلقين: الابتسامة الصادقة، الإنصات للطرف الآخر وفتح باب النقاش معه وقبول مقترحاته، الجلوس مقابل الطرف الآخر وإمعان النظر فيه ....

الفرع الثالث: مهارة لغة الجسد

يطلق علماء النفس على لغة الجسد " اللغة البديلة "، إذ التواصل مع الآخرين لا يقتصر على لغة اللسان فحسب، فقد يتم التعبير عن المشاعر وما يختلج في نفس الإنسان عن طريق الحركات والإيحاءات الجسدية، بل قد يكون ذلك أبلغ في التعبير عن المشاعر، فكثير ما يتكلم الإنسان بما لا يضمر، ولغة الجسد تحقق ثلاثة أغراض: يمكن أن تكون بديلا عن الحديث، ويمكن أن تؤكد الحديث، ويمكن أن تعرض الحالة المزاجية للشخص (وبربارا، 2019، صفحة 165)، ويجب على المتكلم أن يحرص على موافقة لغة جسده لكلامه حتى يحقق الإقناع لدى الطرف الآخر، ولا يحصل تناقض في المواقف واضطراب في شعور المتلقي.

الفرع الرابع: مهارة الإنصات والإصغاء للآخرين

تعتبر هذه المهارة من أهم مهارات الإقناع، والتي لا يملكها إلا القلة، فأكثرنا يتكلم أكثر مما يسمع، والانصات للطرف الآخر له أهمية كبيرة في عملية الإقناع، لأنه يفتح الباب لمعرفة أفكار الآخرين والحصول على معلومات جديدة، ويشعر الطرف الآخر بأن له قيمة عند المتكلم، كما يمنحه الفرصة لإفراغ شحنات الغضب

والتوتر، ويساعد على تصحيح الأفكار المغلوطة، ويجعل عملية التواصل عملية تشاركية وليست عملية إلقاء وتلقي فحسب (مرزا، 2019، صفحة 129).

المحور الرابع: الإقناع بين المنهج القرآني والدراسات الغربية المعاصرة

بعدما تم عرض منهج القرآن في الإقناع وبخاصة في آيات التوحيد، وكذا أهم نظريات ومهارات الإقناع في الدراسات الغربية المعاصرة، يمكن عقد مقارنة بينهما من أجل استنباط ما يميز المنهج القرآني عن غيره من المناهج الغربية، وذلك وفق المعايير الآتية:

المطلب الأول: من حيث المصدر

من المعلوم أن مصدر المنهج القرآني رباني مقدس، فالقرآن هو كلام الله تعالى المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والله تعالى هو الذي خلق عباده وهو أعلم بهم، وأعلم بما ينفعهم وما يضرهم، قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك 14]. والقرآن الكريم فيه تبيان كل شيء قال تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام 38].

فالرب عز وجل حسنت أسماؤه وتقدست صفاته، لا يخطئ ولا يسهى وهو العليم الخبير، وعليه فإن المؤمن يطمئن لأي أمر مصدره القرآن الكريم، ويعلم علم اليقين أنه الصواب الذي لا يعتريه الزلل، والكمال الذي لا يلحقه النقص، وعليه فمنهج القرآن في الإقناع هو أكمل وأفضل منهجٍ، كان من أهم آثاره أنه استطاع وفي زمن يسير أن يبعث أمة كانت جاهلة غارقة في غياهب الحروب والنزاعات ومساوئ الأخلاق، إلى أمة قوية متينة سادت الأرض وبلغ ذكرها الآفاق.

المطلب الثاني: من حيث الإطار الزمني

بالتأمل في أهم نظريات ومهارات الإقناع في الدراسات الغربية الحديثة، نجد أن القرآن الكريم قد سبق علماء الغرب بعشرات القرون في تناول أهم نظريات الإقناع، مع اختلاف في الشكل والمضمون طبعا، فجوهر وأصل هذه النظريات موجود في القرآن.

بالنسبة للنظرية النفسية والتي تستند إلى إقناع الآخرين من خلال التأثير على البناء النفسي الداخلي للفرد بإثارة حاجياته أو دوافعه، فعين هذه النظرية هو ما أشرنا إليه سابقا في أسلوب الترغيب والترهيب في القرآن، والذي يعتمد على ملامسة العاطفة والوجدان من خلال إثارة الشعور بالرغبة والرجاء في الخير لعمله والفوز بفضله وجزائه، وإثارة الشعور بالرهبة والخوف من الشر لتوقّيه وتجنب الوقوع في إثمه وعقابه، والقرآن الكريم عامر بآيات الترغيب والترهيب وقد أشرنا إلى بعضها سابقا.

أما بالنسبة للنظرية الاجتماعية والتي ترى أن العوامل الاجتماعية والثقافية هي التي تؤثر في توجيه السلوك البشري، وأن المجتمعات تقتنع بما يتوافق والمعايير الاجتماعية والثقافية، والتي تتمثل في القيم والعادات والأعراف والتقاليد، وأن صاحب الرسالة كلما كان أقرب إلى هذه المعايير كلما كانت رسالته أكثر إقناعا وتأثيرا، فبالرجوع إلى القرآن الكريم نجده أنه قد راعى هذه النظرية بحذافيرها في معجزات الأنبياء، التي أيد الله بها رسله حتى يقنعوا أقواهم بالإيمان بالله تعالى وتوحيده، فقوم موسى لما عُرفوا بالسحر والشعوذة، أيد الله

نبيه بمعجزة في هذا الشأن، قال تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (32) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الشعراء 32، 33]، وقوم عيسى لما عُرفوا بالتطبيب وعلوم الطبيعة، أيد الله نبيه بمعجزة في هذا الشأن، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾ [المائدة 110]، ونبينا محمد ﷺ لما عُرف قومه بالبلاغة والفصاحة والبيان أيده تعالى بمعجزة في هذا الشأن؛ قرآنا عربيا أعجز البلغاء وأسكت الشعراء وأبكم الأدباء، قال تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[الزمر 28].

أما بالنسبة لنظرية إنشاء المعاني؛ والتي تهدف إلى خلق معان جديدة أو تغيير معان راسخة في مجتمع ما، فهذه النظرية مجسدة في القرآن الكريم من خلال تغييره لكثير من معتقدات وعادات الجاهلية، من ذلك إبطال عبادة الأوثان والتقرب إليها، وهذا موضوع دراستنا، ومنها إبطال وأد البنات قال تعالى: ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ [التكوير 8، 9]، وكذا إبطال التبني قال تعالى:﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ [الأحزاب 37]، وأما عن خلق معان جديدة فمثال ذلك السعي بين الصفا والمروة، فبعد أن كان من شعائر الجاهلية أصبح له معنى جديدا في الإسلام، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾[البقرة 158]، روى البخاري عن عاصم بن سليمان قال: " سألت أنسا عن الصفا والمروة قال: كنا نرى ذلك من أمر الجاهلية، فلما جاء الإسلام أمسكنا عنهما، فأنزل الله عز وجل: {إن الصفا والمروة من شعائر الله}" (البخاري، 1987، صفحة 23/6)، فكان على الصفا والمروة صنمان إساف ونائلة، وكان العرب في الجاهلية يطوفون عليهما (القرطبي، 1964، صفحة 179/2)، فلما جاء الإسلام غير هذين الجبلين من معبد للكفار إلى شعيرة من شعائر الإسلام.

وإذا ما رجعنا إلى مهارات الإقناع عند علماء النفس وعلماء الاتصال فكلها مجسدة في شخص النبي ﷺ وزيادة، هذا النبي الكريم الذي شهد له العدو قبل الصديق أنه كان أحسن الناس خلقا، وأكثرهم تأثيرا وإقناعا، فكان ﷺ أصدق الناس حديثا، حتى عُرف في الجاهلية بالصادق الأمين، وكان من أبلغ وأفصح العرب، فقد أوتي جوامع الكلم، وكان يخاطب كل قوم بما يفهمون ويعلم أصحابه ذلك، فأُثر عن بعضهم كعلي ﷺ أنه قال: " حدثوا الناس على قدر عقولهم أتحبون أن يكذب الله ورسوله" (البخاري، 1987، صفحة 37/1)، وابنَ مَسْعُودٍ ﷺ قال: "ما أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ، إِلَّا كانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً " (مسلم، صفحة 11/1).

أما بالنسبة لكسب محبة المخاطبين، فكل من رأى النبي ﷺ أو سمع قوله أحبه، وقد أحبَّ وعظَّم الصحابة رضوان الله عليهم رسولَ الله ﷺ حُباً وتعظيما فاق كل تصور، وعبَّر عروة بن مسعود الثقفي قبل إسلامه عن مدى حب وتعظيم الصحابة للنبي ﷺ، حين رجع إلى قريش بعد مفاوضته مع النبي ﷺ في صلح الحديبية، فقال: " أي قوم! والله لقد وفَدْتُ على الملوك، ووَفَدْتُ على قيصر، وكسرى، والنجاشي، والله إنْ رأيتُ مَلِكاً قَطْ يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا، والله إن تنخمَّ نخامةً إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدُّون النظر إليه تعظيما له " (عياض، 1979، صفحة 22/2)، وسُئِل علي بن أبي طالب ﷺ

كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ؟ قال: " كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا، وآبائنا وأمهاتنا، ومن الماء البارد على الظمأ " (البخاري، 1987، صفحة 193/3).

أما عن لغة الجسد فقد ثبت في السنة النبوية عدة أحاديث تدل على إتقان النبي ﷺ لهذه اللغة في إيصال المعاني والإيحاءات، من ذلك ما جاء في تحذير النبي ﷺ من شهادة الزور، ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله! قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئًا فجلس، فقال: ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت " (البخاري، 1987، صفحة 13/9)، وكان الصحابة رضي الله عنهم يقرؤون ملامح وجه النبي ﷺ ويعرفون حاله دون أن يتكلم فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: " كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئًا عرفناه في وجهه " (مسلم، صفحة 1809/4).

أما عن إنصات النبي ﷺ لغيره، فقد كان ﷺ طيب النفس كبير القلب واسع الفؤاد، يصغي وينصت لغيره وإن كان من خصومه وأعدائه، وفي قصة عتبة بن ربيعة لما جاء إلى النبي ﷺ مُوفدا من قريش ليعرض عليه بعض ما يغريه عن ترك دينه، فتركه النبي ﷺ يعرض ما عنده من مغريات الملك والجاه والمال والتطبيب، وبعد ذلك قال له: « أفرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: فاسمع مني، قال: افعل، ثم تلى عليه أوائل سورة فصلت » (البيهقي، 1985، صفحة 204/2).

المطلب الثالث: من حيث الغاية والهدف:

من خلال عرضنا لنظريات الإقناع في الدراسات الغربية المعاصرة نلاحظ أن هدفها من الإقناع هو تغيير سلوك المتلقي بما يخدم غاية ومصلحة صاحب الرسالة، فكل النظريات بمختلف اتجاهاتها تركّز على كيفية توجيه سلوك المخاطب سواء كان إيجابا أو سلبا لأغراض وأهداف يقصدها مصدر الرسالة، أما المنهج القرآني في الإقناع فيهدف إلى خدمة مصلحة المتلقي والمخاطب، وتوجيهه إلى ما ينفعه في الدنيا والآخرة، فالله تعالى غني عن عباده، لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية، وإنما العمل ينفع صاحبه، قال تعالى:(إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ) [الزمر 7] ، فكل ما في الشرع إنما هو في خدمة العبد ومصلحته، وما أرسل الله تعالى الأنبياء والرسل إلا ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، ومن الشقاء إلى السعادة.

المطلب الرابع: من حيث الطبيعة والمضمون

إذا ما نظرنا إلى المنهج القرآني في الإقناع نجده يتميز بالوسطية والاتزان بين الروح والمادة، بين الظاهر والباطن، بين ما ينفع العبد في الدنيا وفي الآخرة، والشعار في ذلك قوله تعالى:(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) [البقرة 143]، وقوله تعالى: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) [القصص 77]، أما الحضارة الغربية فقد طغت عليها المادية والأنانية نتيجة لسيادة الفكر العلماني ونبذ قيم الدين، والتجرد من الحياة الغيبية، كل ذلك جعل جل النظريات في مختلف الميادين تخدم هذه التوجه، وعليه فإن الغالب على نظريات الإقناع في الدراسات الغربية هذا الجانب المادي، من خلال استغلال المتلقي وإقناعه بكل الطرق المباحة وغير المباحة، وهذا ما يظهر جليا في التلاعب بعقول المستمعين وتوجيههم لأي غاية، بواسطة قنوات الإعلام العالمية المملوكة

من طرف الطبقة البرجوازية، أو الحملات والإعلانات الترويجية لبعض المنتجات والسلع من خلال الدعاية الكاذبة.

ومن جهة أخرى فإن المنهج القرآني يتسم باليسر والبساطة، والبعد عن التعقيد والتكلف، قال تعالى: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) [القمر 17]، وقال: (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) [الحج 78]. فالقرآن الكريم كتابة هداية، واضحة العبارات، بسيط المعاني، يفهمه ويستفيد من تعاليمه كل الناس، وما فيه من غموض أو اشتباه تكفلت السنة النبوية والعلماء الربانيون ببيانه وإيضاحه، فآيات التوحيد في القرآن على كثرتها، واضحة مفهومة يهتدي بها كل من فتح قلبه واستعمل عقله.

أما نظريات الإقناع في الدراسات الغربية الحديثة فيغلب عليها جانب الفلسفة والتعقيد، فبعضها لا يفهم مرادها إلا بعد عناء شديد، وأغلبها تتجه إلى الغوص في مكونات الإنسان وكيفية حدوث عملية الإقناع بداخله، وما هي الأعضاء المسؤولة عن ذلك، وهل الإقناع عامل نفسي أو اجتماعي، وأي العوامل أكثر تأثيرا ... إلى غير ذلك من التفاصيل والتقعيدات النظرية التي لا ينبني عليها فائدة عملية.

المحور الخامس: كيفية الاستفادة من منهج القرآن في معالجة قضايا الإقناع المعاصرة.

كزبدة وفائدة لهذه الدراسة سوف نحاول في هذه الجزئية طرح بعض التصورات لكيفية توظيف المنهج القرآني في الإقناع وتفعيله واقعيا، والاستفادة منه في معالجة قضايا الإقناع المعاصرة، ولا شك أن هذا الأمر يتطلب دراسات مستقلة، لكن حسبنا أن نقدم بعض الإشارات والإضاءات، ولعلها تكون بذرة ولبنة يبنى عليها غيرها، وسوف نخص بالدراسة والإشارة فنون الإقناع الثلاثة التي أشرنا إليها سابقا وهي:

المطلب الأول: بخصوص فن الإعلام

لقد تطور الإعلام في عصرنا الحالي تطورا كبيرا، بما توفر له من وسائل وآليات تكنولوجية حديثة، لها القدرة على الوصول لأي فرد، واختراق أي جماعة، وتغيير أي سلوك أو قناعة، فأصبح الإعلام سلاحاً خطيراً في يد الدول المتقدمة تهيمن به على الدول المتخلفة في جميع مفاصل حياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فكان الإعلام بذلك قوة فاعلة تربط المجتمع الإنساني بمضامين واتجاهات متعددة بغرض التأثير والإقناع، ومن ثَمّ الاتّباع والولاء.

والعالم الإسلامي ليس بمعزل عن هذا الغزو الإعلامي الجارف، بل لعل المجتمعات الإسلامية أكثر المجتمعات استهدافا، فغالب الهيئات الإعلامية الغربية توجه سهامها نحو قيم ومبادئ الإسلام، وتشكيك المسلمين في مقدساتهم، ومحاربة تقاليدهم وثقافاتهم، مما جعل طائفة كبيرة من المسلمين تنجر وراء هذه الدعوات، وتقع فريسة سهلة لهذه الهجمات، ما يؤكد ضرورة تصدي المسلمين لهذه الحملات من خلال تأسيس إعلام إسلامي قوي ومؤثر، تُجَنّد له طاقات مادية وبشرية هائلة، ويُزوَّد بأفضل الوسائل في مجال البرمجة والتقنية، حتى يكون فاعلا وقادرا على التحدي والصمود في وجه الإعلام الغربي، ولما لا التفوق عليه وتجاوزه.

وهذا الإعلام الإسلامي المنشود يجب أن يكون أساسه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، بما يتضمنانه من أساليب وقواعد في الإقناع والاتصال، وما يحملانه من غاية شريفة وهدفٍ سامٍ في خدمة البشرية، وهذا الإعلام يجب أن يقوم على أصلين أساسيين وهما:

الأصل الأول: التصدي لحملات الإعلام الغربي وتصحيح آثاره السلبية على كل الأصعدة، ومواجهة حالة الضياع التي يعيشها المجتمع المعاصر عامة، ومجتمع المسلمين خاصة، بما يعيد التوازن السليم بين العقل والقلب، وبين فطرة الإنسان ومستحدثات العصر الفكرية منها والمادية.

الأصل الثاني: تقديم الإسلام ومبادئه في صورة صحيحة، وفق أصوله التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ونقد ما أُلصق به من مغالطات وافتراءات، من خلال برامج تجمع بين قوة الحجة وفنّ الإقناع والتأثير، بجانب حسن العرض وجاذبية الأداء.

ورغم أن هناك محاولات محمودة من بعض دول العالم الإسلامي في إنشاء قنوات إذاعية وتلفزيونية إسلامية، إلا أنها لا تزال بعيدة جدا عن مستوى التحدي والمواجهة، ما يفرض توحيد الجهود، وتكاثف الخبرات، وزيادة العناية من الحكام والمسؤولين بهذا الجانب.

المطلب الثاني: بخصوص فن الدعاية

إن كان في جانب الإعلام الغربي ما يؤخذ وما يرد ـ فلا يُنكر ما وصل إليه من سرعة في نقل المعلومة، وربط المجتمع البشري بما يحدث في أنحاء العالم لحظة بلحظة ونشري للوعي واليقظة الفكرية ـ فإن جانب الدعاية الإعلامية يعتبر جانبا سلبيا بحثا، ويتنافى ومبادئ الدين الإسلامي، لأنه يعتمد على إثارة الجانب العاطفي والغريزي في الإنسان، والتأثير على السلوك البشري ولو عن طريق الكذب والتلفيق وتزييف الحقائق، وبخاصة في ظل هذه الطفرة الالكترونية والثورة الرقمية في هذا العصر، والانتشار الواسع لوسائل التواصل الاجتماعي، التي اخترقت كل البيوت والتحصينات، وأوقعت كثيرا من الناس ضحية للغرر والاحتيال عن طرق الدعاية الإعلامية.

إن هذا المد الهائل والسيل الجارف لوسائل التواصل الاجتماعي والمواقع الالكترونية والمنصات الرقمية وأنظمة الذكاء الاصطناعي، أدى إلى ظهور مفاهيم جديدة ك "تكنولوجيا الإقناع " و " تكنولوجيا تعديل السلوك " و " التلاعب التكنولوجي بالعقول "، بحيث أصبح هناك صفقات خفية بين علماء النفس وكبرى الشركات التكنولوجية من أجل التوجيه الخفي لسلوك المستخدمين لهذه الوسائل التكنولوجية، بغية إبقاء المستخدمين على اتصال بهذه الوسائل مدة طويلة، وقابلين للتأثر بما يُبَث له من رسائل وإعلانات وتوجيهات، وعليه وجب السعي إلى إيجاد البديل الإسلامي الهادف، ومزاحمة ترويج التفاهة بالمحتوى النافع، أو ما يمكن أن نصطلح عليه بالدعاية الصادقة.

وعليه فمما يستفاد من منهج القرآن في الاقناع في هذا الجانب هو ضبط الدعاية الإعلامية بضابط المصداقية، إذ لا يقف الدين الإسلامي حاجزا أما الدعاية لفكرة ما، أو والترويج لسلعة أو منتوج معين، إلا أنه يضبط ذلك بضابط المصداقية، والبعد عن الكذب والخداع والغرر، فقد نهى الدين الإسلامي وحذر من هذه الخصال تحذيرا شديدا، في آيات وأحاديث نبوية متعددة، ليس هذا مجال بسطها، ولكن حسبنا أن نشير أن مثل هذه الخصال والتصرفات تدخل في مجال الغش، والنبي ﷺ تبرأ من الغشاشين ـ عياذا بالله ـ فقال: « من غش فليس مني » (مسلم، صفحة 99/1).

المطلب الثالث: بخصوص فن التربية:

لا يختلف اثنان أن الدين الإسلامي دين الأخلاق الحميدة والتربية النبيلة، فالنبي ﷺ لخص رسالته في الدعوة إلى مكارم الأخلاق فقال: « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » (ابن.حنبل، 2001، صفحة 512/14)، ومن المعلوم أن فئة الأبناء والناشئة هي اللبنة الأساسية لأي مجتمع وخزان مستقبله، وعليه فقد اهتم الدين الإسلامي اهتماما بالغا بتربية الأبناء وتنشئتهم منذ نعومة أظفارهم على العقيدة السليمة والأخلاق الحميدة، والآيات في ذلك كثيرة وأشهرها وصية لقمان الحكيم لابنه، والتي تضمنت مجموعة من الأوامر والنواهي التربوية، تصلح أن تكون أساسا متينا لأي مشروع تربوي ناجح.

وعملية الإقناع على مستوى فئة الناشئة تعني البحث عن كيفية التأثير على سلوك الأبناء وتوجيه مواقفهم لما فيه خيرهم وصلاحهم، ولا يخفى ما وصل إليه حال الأبناء في المجتمعات الغربية من انحلال خلقي وضياع تربوي، الأمر الذي وصل أثره سريعا إلى أبناء المسلمين في ظل هذه الانفتاح الإعلامي والرقمي الهائل، والذي أوقع كثيرا من أبناء المسلمين فيما أصبح يصطلح عليه بالإدمان الالكتروني، فصار الأولاد يعيشون في عالم افتراضي، لا حدود له ولا ضوابط، تتلاعب بهم الآراء وتعبث بهم الأهواء، دون حسيب ولا رقيب، فتسبب ذلك في فساد عقائدهم، وانحراف أخلاقهم، وتضييع أوقاتهم، وإصابتهم بعدة أمراض بدنية ونفسية، وعليه وجب التنبيه على:

- تنشئة الأبناء على العقيدة السليمة وغرس عقيدة التوحيد وتركيزها في قلوبهم، حتى تكون سدا منيعا أمام كل الهجمات والسموم التي تبثها المواقع الالكترونية.

- تنظيم استعمال الأبناء للوسائل الالكترونية في فترات قصيرة ومتباعدة، حتى لا يألف الابن هذه الوسائل ويعتاد عليها.

- المراقبة المستمرة والدائمة لاستعمال الأبناء للوسائل الالكترونية، والنظر في البرامج والمواقع التي يزورونها، وكذا الأصدقاء الافتراضيين الذين يتواصلون معهم.

- تذكير الأبناء بأهمية الوقت في حياة المؤمن، فالوقت أغلى ما يملكه العبد، وأسهل ما يضيع منه، وهو مسؤول عنه يوم القيامة.

- تحذير الأبناء الدائم من مخاطر الاستعمال المفرط لهذه الوسائل، وما تسببه من آثار صحية ونفسية واجتماعية وخيمة، ما يزرع في أنفسهم الخوف والرهبة من الوقوع في هذه المخاطر، وهذا من باب الإقناع العاطفي الذي تم شرحه سابقا.

- ضرورة تحكم الآباء في استعمال هذه الوسائل، حتى لا يقعوا ضحية لاستغلال وتلاعب أبنائهم.

- توجيه الأبناء إلى الاستعمال النافع لهذه الوسائل: على الرغم من سلبيات ومخاطر استعمال الوسائل الالكترونية، إلا أنها تكتنف منافع وفوائد متعددة إذا ما أُحسن استعمالها، فقد سهلت الحصول على المعلومات، واختصرت كثيرا من الجهود والأوقات، وفتحت آفاقا للبحث والإبداع في شتى المجالات، وسخرت جملة من البرامج التكوينية والدورات، بل يمكن للأبناء أن يصبحوا مأثرين وفاعلين في هذا المجال، بمزاحمة أهل الباطل، واستغلال هذه الوسائل والبرامج في الدعوة إلى الله، ونشر المحتويات النافعة.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، وبعونه وتوفيقه تقضى الحاجات، فقد أتيت على خاتمة هذه الدراسة، والتي سأخصصها لأهم النتائج وبعض التوصيات.

النتائج: وهي كالآتي:

1. قدم العلماء من الغرب والعرب تعريفات عديدة للإقناع، اختلفت طولا واختصارا، شمولا واقتصارا، وبعد إمعان النظر فيها يمكن القول أن الإقناع هو: عملية باطنية وشكلية تسعى لإحداث تأثير معين في فرد أو جماعة.
2. إقناع المشركين والمكذبين بتوحيد الله تعالى، وتغيير آلهتهم التي يعبدون من دونه من أعسر المهمات، لذلك انتهج القرآن الكريم طرق وأساليب متعددة بغية تحقيق ذلك، تراوحت بين ملامسة الفطرة، وذلك بتذكير الإنسان بفطرته وخلقته على التوحيد، وكذا مخاطبة العقل من خلال الجدال بالحجة والبرهان، والدعوة إلى تدبر آيات الله الكونية ومخلوقاته، إضافة إلى إثارة العاطفة باستعمال أسلوب الترغيب والترهيب.
3. من خلال تتبع آيات التوحيد وغيرها من الآيات نجد أن الإقناع فيها يقوم على مجموعة من الأسس والقواعد، أهما: التدرج وعدم الإكراه، الجدال بالكلمة الطيبة والأسلوب الحسن، والتوازن والتنوع في الأساليب، هذه الأسس المتينة جعلت منه أداة تأثير قوية على عقول وقلوب المتلقين، وغيرت معتقدات وأخلاق أمة من أكثر الأمم صلابة وتمسكا بقيمها ومبادئها، وافتخارا بأصولها وآبائها.
4. اهتمت الدراسات الغربية المعاصرة اهتماما كبيرا بموضوع الإقناع، كونه يمس كل مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، إلا أن كثيرا من الدراسات المعاصرة تذهب إلى أن الإقناع يتعلق بدرجة أكبرى بثلاثة فنون أساسية وهي: فن الإعلام، فن الدعاية، وفن التربية.
5. قدمت الدراسات الغربية عدة نظريات لشرح عملية الإقناع، وكيفية حدوثها، وبيان أكثر العوامل تأثيرا فيها، يمكن جمعها في ثلاث نظريات أساسية: النظرية النفسية؛ والتي ترى بأن الإقناع يكون من خلال التأثير على المكونات العاطفية والإدراكية داخل الفرد، والنظرية الاجتماعية الثقافية؛ والتي ترى أن العوامل الاجتماعية والثقافية هي التي تقوم بتوجيه السلوك البشري، ونظرية إنشاء المعاني التي تهدف إلى خلق معان جديدة، أو تغيير معان راسخة داخل مجتمع ما.
6. للإقناع في الدراسات الغربية الحديثة عدة مهارات تساعد على التأثير الفعال في الغير، أهمها: مهارة الاتصال اللفظي، مهارة لغة الجسد، مهارة كسب حب المتلقين، ومهارة الانصات للغير.
7. بعقد مقارنة بين منهج القرآن ومنهج الدراسات الغربية الحديثة في الإقناع، يمكن القول أنّ القرآن الكريم قد سبق الدراسات الغربية بعشرات القرون في التأسيس لموضوع الإقناع، فجوهر النظريات الغربية موجود في آيات القرآن، وكل مهاراته مجسدة في شخص النبي ﷺ وزيادة، كما أن منهج القرآن يتميز بالوسطية والاتزان بين الروح والجسد، ويهدف لمنفعة المتلقي، وليس لاستغلاله خدمة لمصالح صاحب الرسالة إيجابية كانت أم سلبية.
8. يمكن الاستفادة من منهج القرآن في الإقناع على مستوى فنون الإقناع الثلاثة، فبخصوص الإعلام يكون ذلك من خلال تأسيس إعلام إسلامي قوي ومؤثر، يكون قادرا على مجابهة الإعلام الغربي وتقويم سلبياته، والدفاع عن الإسلام وإبطال ما ألصق به م مغالطات، وبخصوص الدعاية فيجب ضبطها بضابط المصداقية والقصد

الحسن، أما بخصوص التربية فمن خلال الاستفادة من تعاليم القرآن السامية في تربية الناشئة، وحماية الأبناء من مخاطر المد الالكتروني والرقمي الجارف.

التوصيات: يوصي الباحث بالآتي:

1. الإكثار من عقد المؤتمرات وتشجيع الدراسات حول تثوير معاني القرآن وتفعيلها واقعيا، لمعالجة قضايا الأمة المعاصرة، وبيان صلاحية القرآن لكل زمان ومكان.

2. ضرورة توحيد الجهود وتكاثف الخبرات، وتسخير كل الوسائل البشرية والمادية، واستغلال الوسائل التكنولوجية والرقمية، من أجل تأسيس إعلام إسلامي قوي ومؤثر، يكون قادرا على مجابهة الإعلام الغربي وتقويم سلبياته، وتقديم الإسلام في صورته المشرقة بعيدة عن كل المغالطات والافتراءات.

قائمة المصادروالمراجع

1- ابن الحجاج مسلم. (بلا تاريخ). *صحيح مسلم*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

2- ابن قيم الجوزية. (1990). *تفسير ابن القيم*. بيروت: دار ومكتبة الهلال.

3- ابن قيم الجوزية. (1996). *مدارج السالكين*. بيروت: دار الكتاب العربي.

4- أحمد ابن.حنبل. (2001). *مسند الإمام أحمد*. بيروت: مؤسسة الرسالة.

5- أحمد ابن.فارس. (1979). *معجم مقاييس اللغة*. مصر: دار الفكر.

6- أحمد بن الحسين البيهقي. (1985). *دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة*. بيروت: دار الكتب العلمية.

7- أحمد زكي بدوي. (1994). *معجم مصطلحات الإعلام*. بيروت: دار الكتاب البناني.

8- إسماعيل بن حماد الجوهري. (1987 م). *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*. بيروت: دار العلم للملايين.

9- إسماعيل بن عمر ابن.كثير. (1996). *تفسير القرآن العظيم*. بيروت: دار الكتب العلمية.

10- الحسين بن مسعود البغوي. (1997). *معالم التنزيل في تفسير القرآن*. دار طيبة.

11- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. (2005). *القاموس المحيط*. بيروت: مؤسسة الرسالة.

12- القاضي عياض. (1979). *الشفا بتعريف حقوق المصطفى*. بيروت: دار الكتب العلمية.

13- بيز آلان وبربارا. (2019). *المرجع الأكيد في لغة الجسد*. الرياض : مكتبة جرير.

14- حبيب عبد الكريم راكان. (2009). *هندسة الإقناع*. جدة: مكتبة دار جدة.

15- حسن عماد مكاوي وليلى حسن السيد. (1998). *الاتصال ونظرياته المعاصرة*. الدرا المصرية اللبنانية.

16- خالد أحمد مرزا. (2019). *الإقناع أساليبه ووسائله في منهج النبي* . الصومال: جامعة كاي.

17- صالح الفوزان. (2013). *عقيدة التوحيد وما يضادها أو ينقصها من الشرك الأكبر أو الأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك*. الرياض: مكتبة دار المنهاج.

18- عبد الحق بن غالب ابن.عطية. (2000). *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. بيروت: دار الكتب العلمية.

19- عبد القاهر الجرجاني. (1983). *التعريفات*. بيروت: دار الكتب العلمية.

20- عبد الله بن محمد العوشن. (1996). *كيف تقنع الآخرين*. الرياض: دار العاصمة للنشر.

21- عبد الرحمن السعدي. (2000). *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. مؤسسة الرسالة.

22- علي رزق. (1994). *نظريات في أساليب الإقناع دراسة مقارنة*. بيروت: دار الصفوة.

23- فارس آشتي. (1996). *الإعلام العالمي؛ مؤسساته طريقة عمله وقضاياه*. بيروت: دار أمواج للطباعة.

24- محمد البادي. (1986). *الأسس النظرية للإقناع*. مكة المكرمة: المكتبة الفيصلية.

25- محمد بن أحمد ابن.جزي. (1996). *التسهيل لعلوم التنزيل*. بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم.

28- محمد بن أحمد القرطبي. (1964). *الجامع لأحكام القرآن*، . القاهرة: دار الكتب المصرية.

29- محمد بن إسماعيل البخاري. (1987). *صحيح البخاري*. بيروت: دار ابن كثير.

30- محمد فؤاد عبد.الباقي. (1945). *المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم*. مصر: دار الكتب المصرية.

31- محمد منير حجاب. (1999). *مهارات الاتصال للإعلاميين والتربويين والدعاة*. مصر: دار الفجر.

32- معتصم مصطفى بابكر. (2003). *من أساليب الإقناع في القرآن الكريم*. قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

33- ملفين ديفلر وساندرا بول. (1998). *نظرية الإعلام*. القاهرة: الدار الدولية للنشر والتوزيع.

34- هاري ميلز. (2001). *فن الإقناع*. الرياض: مكتبة جرير.

35- وليم و.لامبرت ولاس إ.لامبرت. (1993). *علم النفس الإجتماعي*. بيروت: دار الشروق.

References

Ibn al-Ḥajjāj Muslim. (bi-lā Tārīkh). Ṣaḥīḥ Muslim. Bayrūt : Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī.
Ibn Qayyim al-Jawzīyah. (1990). tafsīr Ibn al-Qayyim. Bayrūt : Dār wa-Maktabat al-Hilāl.
Ibn Qayyim al-Jawzīyah. (1996). Madārij al-sālikīn. Bayrūt : Dār al-Kitāb al-'Arabī.
Aḥmad Ibn. Ḥanbal. (2001). Musnad al-Imām Aḥmad. Bayrūt : Mu'assasat al-Risālah.
Aḥmad Ibn. Fāris. (1979). Mu'jam Maqāyīs al-lughah. Miṣr : Dār al-Fikr.
Aḥmad ibn al-Ḥusayn al-Bayhaqī. (1985). Dalā'il al-Nubūwah wa-ma'rifat aḥwāl ṣāḥib al-sharī'ah. Bayrūt : Dār al-Kutub al-'Ilmīyah.
Aḥmad Zakī Badawī. (1994). Mu'jam muṣṭalaḥāt al-I'lām. Bayrūt : Dār al-Kitāb al-Bannānī.
Ismā'īl ibn Ḥammād al-Jawharī. (1987 M). al-ṣiḥāḥ Tāj al-lughah wa-ṣiḥāḥ al-'Arabīyah. Bayrūt : Dār al-'Ilm lil-Malāyīn.
Ismā'īl ibn 'Umar Ibn. Kathīr. (1996). tafsīr al-Qur'ān al-'Aẓīm. Bayrūt : Dār al-Kutub al-'Ilmīyah.
al-Ḥusayn ibn Mas'ūd al-Baghawī. (1997). Ma'ālim al-tanzīl fī tafsīr al-Qur'ān. Dār Ṭaybah.
al-Fīrūzābādī, Muḥammad ibn Ya'qūb. (2005). al-Qāmūs al-muḥīṭ. Bayrūt : Mu'assasat al-Risālah.
al-Qāḍī 'Iyāḍ. (1979). al-Shifā bi-ta'rīf Ḥuqūq al-Muṣṭafá. Bayrūt : Dār al-Kutub al-'Ilmīyah.
Byyz Ālān wbrbārā. (2019). al-Marji' al'kyd fī Lughat al-jasad. al-Riyāḍ : Maktabat Jarīr.
Ḥabīb 'Abd al-Karīm Rākān. (2009). Handasat al-Iqnā'. Jiddah : Maktabat Dār Jiddah.
Ḥasan 'Imād Makkāwī wa-Laylá Ḥasan al-Sayyid. (1998). al-ittiṣāl wa-naẓarīyātihi al-mu'āṣirah. aldrā al-Miṣrīyah al-Lubnānīyah.
Khālid Aḥmad Mirzā. (2019). al-Iqnā' asālībuh wa-wasā'iluhu fī Manhaj al-Nabī □. al-Ṣūmāl : Jāmi'at kāy.
Ṣāliḥ al-Fawzān. (2013). 'aqīdat al-tawḥīd wa-mā yuḍādduhā aw yanquṣuhā min al-shirk al-akbar aw al-aṣghar wa-al-ta'ṭīl wa-al-bida' wa-ghayr dhālika. al-Riyāḍ : Maktabat Dār al-Minhāj.
'Abd al-Ḥaqq ibn Ghālib Ibn. 'Aṭīyah. (2000). al-muḥarrir al-Wajīz fī tafsīr al-Kitāb al-'Azīz. Bayrūt : Dār al-Kutub al-'Ilmīyah.
'Abd al-Qāhir al-Jurjānī. (1983). alt'ryfāt. Bayrūt : Dār al-Kutub al-'Ilmīyah.
'Abd Allāh ibn Muḥammad al-'Ūshan. (1996). Kayfa tqn' al-ākharīn. al-Riyāḍ : Dār al-'Āṣimah lil-Nashr.
'Abd al-Raḥmān al-Sa'dī. (2000). Taysīr al-Karīm al-Raḥmān fī tafsīr kalām al-Mannān. Mu'assasat al-Risālah.
'Alī Rizq. (1994). naẓarīyāt fī Asālīb al-Iqnā' dirāsah muqāranah. Bayrūt : Dār al-Ṣafwah.
Fāris āshty. (1996). al-I'lām al-'Ālamī ; m'ssāth ṭarīqat 'amalih wa-qaḍāyāh. Bayrūt : Dār Amwāj lil-Ṭibā'ah.
Muḥammad al-Bādī. (1986). al-Usus al-naẓarīyah ll'qnā'. Makkah al-Mukarramah : al-Maktabah al-Fayṣalīyah.
Muḥammad ibn Aḥmad Ibn. Juzayy. (1996). al-Tas'hīl li-'Ulūm al-tanzīl. Bayrūt : Dār al-Arqam ibn Abī al-Arqam.
Muḥammad ibn Aḥmad al-Qurṭubī. (1964). al-Jāmi' li-aḥkām al-Qur'ān,. al-Qāhirah : Dār al-Kutub al-Miṣrīyah.
Muḥammad ibn Ismā'īl al-Bukhārī. (1987). Ṣaḥīḥ al-Bukhārī. Bayrūt : Dār Ibn Kathīr.
Muḥammad Fu'ād 'Abd. al-Bāqī. (1945). al-Mu'jam al-mufahras li-alfāẓ al-Qur'ān al-Karīm. Miṣr : Dār al-Kutub al-Miṣrīyah.
Muḥammad Munīr Ḥijāb. (1999). mahārāt al-ittiṣāl lil-i'lāmīyīn wa-al-tarabawīyīn wa-al-du'āh. Miṣr : Dār al-Fajr.
Mu'taṣim Muṣṭafá Bābakr. (2003). min Asālīb al-Iqnā' fī al-Qur'ān al-Karīm. Qaṭar : Wizārat al-Awqāf wa-al-Shu'ūn al-Islāmīyah.
Mlfyn dyflr wsāndrā Būl. (1998). Naẓarīyat al-I'lām. al-Qāhirah : al-Dār al-Dawlīyah lil-Nashr wa-al-Tawzī'.
Hārī mylz. (2001). Fann al-Iqnā'. al-Riyāḍ : Maktabat Jarīr.
Wilyam wa. Lāmbirt wlās I. Lāmbirt. (1993). 'ilm al-nafs al-ijtimā'ī. Bayrūt : Dār al-Shurūq.